

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات . لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات .

وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات ، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة . فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص . فاللغة تشمل عادة على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها . وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية ، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات .

وقد كان القدماء من علماء العربية يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة «اللغة» حيناً ، وباللحن، حيناً آخر . نرى هنا واضحاً جلياً في المعاجم العربية القديمة وفي بعض الروايات الأدبية . فيقولون مثلاً : الصقر بالصاد من الطيور الجارحة وبالزاي لغة (بضم اللام وكسرها) . وقد يروى لنا أن إعرابياً يقول في معرض الحديث عن مسألة نحوية : «ليس هذا لحنى ولا لحن قومي» . وكثيراً ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغة طيء ولغة هذيل ، ولا يريدون بمثل هذا التعبير سوى ما نغنيه نحن الآن بكلمة «اللهجة» .

ويظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن «باللغة» إلا بكلمة «اللسان» ، تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية . وقد يستأنس لهذا الرأي

بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة «اللسان» وحدها في معنى اللغة نحو ٨ مرات .

أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها ، وكيفية صدورها . فالذي يفرق بين لهجة وأخرى ، هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان . فيروى لنا مثلاً أن قبيلة تميم كانوا يقولون في «فزت» ، «فزد» ، كما كانوا ينطقون بالهمزة عينا . كما يروى أن «الأجلح» وهو الأصلع ينطق بها «الأجله» عند بني سعد .